

الفنان التشكيلي العراقي برهان صالح يحمي مجازاته برمز روحية

لوحات بألوان مندفة مليئة بالانفعالات تقود مشاهدها إلى عوالم مجهولة

منذ القدم ارتبط الفن التشكيلي ارتباطاً وثيقاً بالعوالم الروحية، بل منها انبثقت أهم التيارات الفنية التي كانت تعبيرات دينية في نشأتها. ولئن انفصل الفن التشكيلي بمدارسه الحديثة عن الروحانيات الدينية والطقوس فإنه يعود إليها من منطقة أخرى أكثر وعياً ومرونة وقدرة على التكامل لخلق الرسالة الفكرية والجمالية، وهو ما نجده في أعمال الفنان العراقي برهان صالح.

يقدم الفنان ملخصاً لإجابة ترتبط بالضرورة باستخداماته الجمالية التي هي أشبه بأشرطة موسيقية، فيتحول عمله إلى ما يشبه دوائر حلزونية تحدد ملامح المرحلة لديه، فهو يتجنب الواقع كما يتجنب التجريد، وكذلك يتجنب عزل الصورة الإنسانية داخل إطار ما، وهذا التوجه الواعي يتخذ منحى ذا دلالات تعبيرية.

ولعل استخدامه رقصة الملوية تعبير عن إدراك مفهومي لشيء حسي يحقق به فعل الفن كمنشأ إنساني مستمداً أتمونجاً من فلسفة التباينات اللونية ومتخطياً السماء التاسعة في التحليق دون أي تجاهل لمحور دوائره وهي تبرز لتضم مختلف النطاقات بما فيها الأكثر صفاء؛ فالحركة العذبة التي يخلقونها في التواصل مع السموات تلك وجعلها قريبة من تلك الشغايا للحقيقة المتفجرة هنا والعميقة هناك بإجتماعها المتداخلة وكأنها مساحات متوجدة ذات إيماءات فيها الكثير من الاخذن الآلات التعبيرية.

يتناول صالح خطوطاً مفردة في الأبعاد لاكتشاف أفاق فردوسية عبر وضع أسس مفاهيم جمالية جديدة تنطلق من تولد انفعالات جديدة، فيجعل ألوانه تدرج بالكثافة الموضوعة على القماش، فليس هناك مواد غريبة عنده، كما لم يكن همه الوصول إلى استعارات رمزية فقط، ولا التعرف على الاختلاف في المراتب، بل الانطلاق برؤى تلامس اللاوعي، تلامس تلك الأحاسيس المنطلقة من معطيات خاصة فيقبض عليها في فضاءاته كلها ثم يحرقها لاحقاً للتناغم مع الإدراك البصري، وذلك مع الاستعانة بالسعي لاكتشاف حركة ذات مسار ملامم لعالمه اللامرئي متمسكاً في الغالب بالحالة الحاملة للقيمتين الفنية والروحية معاً.

الراجح أن صالح كان على قدر كبير من الوعي وهو يبتعد مجازاته التي تحتفي برموز لا تخفق في حضورها، بل تدرك ما تحمله من طاقات تقوده نحو ابتداء دلالاتها التي تكاد تعصف بكل ما يدفع بنصه/ منتجه نحو دروب

عريب ملا زلال
كاتب سوري



منذ زمن ليس بالقليل وأنا أحاول الاقترب من أعمال الفنان التشكيلي العراقي برهان صالح (1956 كركوك)، فكلما عزمت الرحيل إليها وحملت نفسي وقلمي ليكونا جواز سفر لي للغوص في فضاءاتها وجدت بعد ساعات من الإبحار أنني وقلمي مازلتنا صامتتين في محرابها، وأنا الذي اعتدت الغوص بشبكة ناعمة لأعود بلائلي وكنوز ثمينة في كل محاولة من محاولاتي.

**الفنان يخلق عالماً متماسكاً
كاشفاً عن اللامرئي
ومتمسكاً في لوحاته
بالحالة الحاملة للقيمتين
الفنية والروحية معاً**

عالم برهان صالح، وعلى نحو خاص في السنوات الأخيرة، ممتلئ بمعالجات تختلط مفاهيم العلاقة ما بين الألوان المضاءة بطموحات هي أقرب إلى السعي نحو نمط ما من التفكير في اللحظة الحاسمة وما بين تلمس معالم التراث وإدراك تحولاته.

عالم لامرئي

يدفع صالح بجذوره ماضيه نحو السطح فيما يحمل رؤيته كإنسان باحث عن نفسه أولاً وعن تلك الأشياء التي تفقد مسوغ حضورها ثانياً وعن مسافات تمنع بوعي في الذاكرة المفقودة، مقترباً من حركات تشبه الممارسات الطقوسية التي تجري في فترات المريدين الدينية، حيث يطرح الفنان تساؤلات روحية قلقة تكاد تكون ملخصاً لإجابة كبيرة ربما كان يبحث عنها منذ سعيه لبلوغ الزمن ومعرفة لحظة اللقاء الذي يوقف الماضي لديه بأفاق مختلفة.



الرسم يشبه ممارسة الطقوس

عتمة وخفاء، ويشكل زمناً بيئياً باتساع رؤيته تلك، حتى تمتلئ لحظة المكاشفة في حضرة خالق، مهما كانت المرفقات ترمي باستعصاءاتها ومهما تكتمت عن أسرارها، فهو لا يحتفي بالجاهز من الصور واستعاراتها، ولا يكتفي بالجوء إلى مفردات لها دلالة واحدة، بل يبتني قائمة من دقات دلالية لها طاقتها في انتشال خطابه من أزقة ضيقة، أو من دوائر لولبية، وإخراجها إلى المساحات المفتوحة، ربما ذلك وحده يفي بحاجته الجمالية التي ينشدها. ولا استحالة في ذلك؛ فهو فنان مجتهد له كل الرغبة، بل كل الفعل، في تأسيس دائرته الفنية والإرتقاء بها مستنهضاً المتلقي مناصرتها.

التحقق والعدم في صمته وسكونه حتى تبدو أغنية تنفذ إلى المجهول فينا، في حضرة الخلق والخالق. إن تأمل أعمال برهان صالح بوصفها خطاباً جمالياً يمتلئ لمقرراته سيكشف لنا عن ذلك الهدير الذي ينتج، الهدير الذي لا يسيل إلى التخلي عنه، فهو يسهم إلى حد كبير في إيجاد حاجاته من اندفاعات لرؤى تنحدر من رؤيته التي تهفو إلى بلوغ سبل تحفل بلحظات انفعالية وبكل محاولاته في خلق مبنى ملامم لنصه والإعتناء به، ليكون ملامم لا احتضان مجمل تصورات التي يشتغل عليها من تعميق وتطويع. من خلال تجسيده لتلك الانفعالات يطل الفنان على مناطق أشد

أكثر المظاهر استحضاراً في مكوناته من قاعها إلى سطحها كعمليات فيها تتجلى الإشارات إلى أشكال لا تعجز عن الإرتقاء والحرص على التثقيف الدلالي. **انفعالات كاشفة** يرسم صالح مشاهدته وهي تتوسع في المكان بمهيتها ويشحنها بأسلوبه الذي يوفر من الدهشة عوئليها، ومن الاستغراب نبرته، ومن الصور حركتها وما لا يبرزح احتمالها بلحظات الاستدعاء للمدرك ودلالاته الذاتية، وباللامدرك وأبعاده التي ستكتشف بدورها عن القياس والتقريب، أو بمعنى أدق عن القياس الذي غايته التقريب، ليغني الفنان المسافات والفواصل بين

أقلها تلك التي تفي بحاجتها الجمالية، فالناظر إلى طرائقه التي يلجأ فيها إلى الأساطير في توزيع مقاطعه الجمالية يشعر بأنه يقف معها على حواف موهلة في الزمن، أو لتقل في خبوطه التي تشد الماضي بجاذبية، وبرؤية تحققي به وهي تروي حكاياه المقدسة. الناظر هنا يتلبس الحال الذي ينشده صالح كنظام من داخل الفوضى، فعمله ليس تمجيداً للحياة فحسب بل يسمو عليها بإعلانه عن حقائق ما، لا تسليماً بالوصول المستمد نوره من عتباتها ورحابها، ففي لوحاته يتقاطع الواقع مع اللاواقع، والواقع مع الخيال، محتقلاً بشعرية خاصة وإجباء بعدها الأسطوري على الأرض، ملتحقاً بالغياب ويجوانب صامتة لامرئية، وهذه من

السورية براءة أيمن الجبر توظف مكتسبات المدرسة التعبيرية لنقل أحوال الناس

دمشق- المدرسة التعبيرية في الفن هي الأسلوب الأكثر تفضيلاً عند الفنان حين يريد التعبير عن ذاته وشواغلها ولاسيما زمن الحروب والصراعات والتقلبات التي تعصف بالبشر، وهو ما حدا بالفنانة السورية براءة أيمن الجبر إلى الميل نحو هذه المدرسة وهي تخط رحلتها في عالم الفن التشكيلي. تستخدم جبر الأكريليك والفحم والألوان الزيتية لتشكيل لوحاتها



لوحات عن هامش منسي

رغم أنها تنظر إلى الواقع كأساس للوحة التي ترسمها لا تنكر الفنانة ضرورة الخيال ودوره الفعال في الفن



وتجد أن وجود الطبيعة مع المرأة في أكثر لوحاتها أمر طبيعي لكونه انعكاساً للبيئة التي عاشت فيها وما تكتنزه من علاقات إنسانية وانفعالات ذاتية لتأتي الطبيعة وتكسب شخصاً للوحة قالباً يبدو للمتلقي جميلاً. وتقول جبر "نشأت بين الأشجار والكروم والصخور وهي أشياء أكسبني الكثير من الحس الفني، فالعلاقة بيني وبين هذه المكونات جدلية وأعطتني الكثير". ورغم أنها تنظر إلى الواقع كأساس للوحة التي ترسمها إلا أنها لا تنكر ضرورة الخيال ودوره الفعال في دلالات جديدة وتقنيات تجسدها القدرة على التشكيل والتصوير والإبداع. يذكر أن الفنانة براءة الجبر شاركت في العديد من المعارض، وهي خريجة كلية الفنون الجميلة كما تابعت دورات في مراكز ومعاهد فنية.

التشكيلية الحديثة نوعاً ما واتجهت أكثر إلى التجريد فإنه يظل تجربة راسخة يعود إليها الفنانون المعاصرون باستمرار. والتعبيرية بمعناها العام هي ميل إلى الذاتية المفرطة، ونيزد للعوالم المرئية الوضعية والانطباعية والواقعية التي تصور الموضوعات، كما هي عليه في العالم الحقيقي، من دون أن تتجنح إلى الجانبين الخيالي أو الرومانسي، وهما ركنان أساسيان من أركان أي عمل فني. وحول ألوانها المفضلة تشير جبر إلى أنها تستخدم أي لون يناسب الفكرة المطروحة على اللوحة، حيث في رأيها يجب على الفنان امتلاك القدرة على التعامل مع كل الألوان. ولكن جبر تميل إلى استخدام اللون البنفسجي لأنه رمز القوة والأسود والزهر في أن واحد، معتبرة أن لكل لون دلالة، فلا بد للفنان أن يدرك هذه الدلالات وهو يرسم لوحته. كما تهتم الفنانة برسم المرأة بوصفها إنساناً معطاءة ومسؤولة في المجتمع ومن خلالها يمكن التعبير عن كل مجالات الحياة، كما أنها صاحبة الحضور الأقوى كام وزوجة وأخت وابنة وكل تحولات الحياة تظهر على تقاسيم وجهها وحركات يديها.

وعلى الرغم من أن المذهب التعبيري قد تبلور في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلا أننا نستطيع أن نتبع ملامحه في فنون عصر النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ويكفي أن نشير هنا إلى رسام عصر النهضة الألمانية ماتياس غرونيفالت، وفنان عصر النهضة الإسبانية إل غريكو الذي كان موزعاً بين الرسم والنحت والفن المعماري ليتطور لاحقاً، وحتى إن ابتعدت عنه الفنون

